المحاضرة الحادية عشرة

الدرس اللساني الحديث

تمهيد: إنّ الاهتمام باللغة ودراستها أمر ملموس في تاريخ الحياة الإنسانيّة عند الشعوب التي ارتبطت لغتها بكتاب مقدّس ،كما هي الحال للغة العربية التي ترتبط بالقرآن الكريم ارتباطا مباشرا، والسنسكريتيّة في الهند التي ارتبطت عندهم بالكتاب المقدس "الفيدا"،وكذلك اليونانية واللاتينية في أروبا ،ولكن هذا الاهتمام كان مُنصَّبا على البحث في مسائل عامة كالحديث عن نشأة اللغة ،وأيٌّ اللغات أفضل، والألفاظ وغيرها.

مصطلح اللسانيات: يطلق البعض على الدرس اللغوي الحديث عدة تسميات منها: علم اللغة، علم اللسان، اللسانيات، اللسُنيات، الألسنية، الألسنيات، اللغويات، وتتداخل هذه المصطلحات مع بعضها البعض تداخلا لا يفيد العلم مما أدى ذلك إلى تمزق مجالات البحث العلمي في اللغة العربية وإهمال كثير من قضاياه وإلى عدم وضوح جوانبه المتكاملة[1].

تاريخ الدّرس اللغوي الحديث:[2]

لقد حدث تطور خطير في تاريخ الدّرس اللغوي الحديث عندما تمّ اكتشاف اللغة السنسكريتية على يد "وليم جونز" سنة 1786م، وهذا الاكتشاف وجه الأنظار إلى الدّراسة المقارنة بين اللغات الهنديّة الأروبية ثمّ أخذ الدّرس اللغوي مكانته باعتباره علما على يد دي سوسير وذلك حين نشر تلاميذه محاضرته سنة 1916م، فقد كان دي سوسير أوّل من أبرز إمكان بحث اللغة بالمنهج الوصفي حيث أطلق على علم اللغة الوصفي التّزامني SYNCHRONIQUE وأطلق على علم اللغة التّاريخي التعاقب DIACHRONIQUE .

وقد أحدث تشومسكي ثورة في تاريخ الدّرس اللغوي، وتناول حياته ونظريته اللغوية الكثيرون من العلماء، حيث أصطبغت نظريته باستخدام المنطق والرياضيات والنماذج الرّمزية ،وقد أصبح تشومسكي حامل لواء علم اللغة الأمريكي بعد أن نشر كتابه "التّراكيب النّحوية" وقد ثبتت مكانته

(1) محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، د ت، ص 47.

(2) عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1979، ص 14.

باعتباره مُنظّرا على مستوى عالمي منذ عام 1962م خلال التّقرير الذي قدّمه إلى المؤتمر الدّولي التّاسع لعلماء اللغة في كمبريدج وبريطانيا.

فروع اللسانيات:[1]

اللسانيات المقارنة: comparative linguistics وهو أقدم الفروع وهو يهتم بمقارنة لغتين من فصيلة لغوية واحدة

اللسانيات التّاريخية: historial Linguistiques وينحصر دوره الرّئيسي في حصر التغيرات التي تطور اللغة على مرّ العصور ،وهو يبحث في العناصر التي تؤدي إلى هذا التغيير .

اللسانيات الوصفية Descriptive Linguistiques ويدرس اللغات في عبارات تصف تراكيبها الداخلية ، وتخص تلك التراكيب أي أنّه يدرس اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها .

اللسانيات التّقابلية Contrastive Linguistiques وهو أحدث المناهج اللسانية وموضوع البحث فيه ،ويهدف إلى المقابلة بين لغتين اثنتين أو لهجتين اثنتين أو لغة ولهجة أي بين مستويين متعاصرين اثبات الفروق بين هذين المستويين .

اللسانيات التّطبيقية Applid linguistique وموضوعها دراسة التقابل اللغوي والأخطاء وتحليلها وتعليم اللغات ، وكيفية صناعة المعجم والتّرجمة.

مستويات اللسانيات: تحتوي اللغة على جوانب شديدة التّعقيد، ولذلك قسم العلماء اللغة إلى عدة مستويات ليتمكنوا من كشف محتوياتها، وإظهار أسرارها، ومعرفة مضمونها، وقد ارتضى أغلبية العلماء أن دراسة اللغة تندرج في أربعة مستويات تُشكل بناء اللغة العام وهي

المستوى الصّوتي Phonitics ويدرس أصوات اللغة من ناحية طبيعتها الصّوتية التي تدخل في تشكيل أبنية لفظية ،وتبرز وظيفة بعض الصوتيات في الأبنية والتّراكيب .

المستوى الصّرفي Morphologie: ويدرس الصّيغ االلغوية ،كما يدرس الأثر الذي تحدثه زيادة الوجدات الصرفية في أصل بناء الكلمة مثل اللواحق الصّرفية (ون) (ي ن) الجمع المذكر السّالم

(1) عبد الكريم الرديني: فصول في علم اللغة العام، دار الهدى، الجزائر، د ط، 2007، ص 23.

و(ا ت) جمع المؤنث السّالم ،وياء النسب مثل (جزائريّ) ،والسّوابق الصّرفية كحروف المضارعة (أنيت) وهمزة التّعدية ....الخ .

المستوى التّركيبي Syntaxe: الذي يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية، فالنّحو يبين وظائف الكلمات في الجمل ،والأثر الدّلالي لاختلاف موقع الكلمة في تركيبين.

المستوى الدّلالي Sémantique: ويهتم بدراسة دلالة الكلمة وتاريخ نشأتها وتطورها والحقل اللغوي الذي ينتمي إليه ، وكذلك دلالة التّراكيب الاصطلاحية التي تؤدي دلالة خاصة[1].

العلاقة بين هذه المستويات: يؤكد اللغويون على الارتباط فيما بينها، ولذلك فهم ينبهون على:

- لا يجوز الفصل بين هذه المستويات فصلا ينبئ عن استقلال أي واحد منها.
- لا يجوز الاكتفاء بدراسة مستوى واحد عند معالجة أي قضية لغويّة.
- ضرورة اعتماد كل مستوى على سابقه ،وحتمية الالتجاء إلى نتائجه.

خصائص اللسانيات الحديثة: يرى "جون ليونز" أنّ أهمّ هذه الخصائص تتمثل فيما يلي[2]:

1. إنّها تتصف بالاستقلال، وهذا مظهر من مظاهر علميتها على حين كان النّحو التّقليدي خاضعا للفلسفة
2. تسوّي اللسانيات بين الفصحى واللهجات فهذه الأخيرة لا تقلّ أهمية من مستويات الاستخدام اللغوي.
3. تهتم اللسانيات باللغة المنطوقة قبل المكتوبة على حين أن علوم اللغة التّقليدية فعلت العكس.
4. تسعى اللسانيات إلى بناء نظرية لسانية لها صفة العموم، اذ تمكن على أساسها دراسة جميع اللغات الإنسانية ووصفها
5. لا تُقيم اللسانيات وزنا للفروق بين اللغات البدائية واللغات المتحضرة لأنّها جميعا جديرة بالدّرس دونما تمييز أو انحياز مسبق.
6. تدرس اللسانيات اللغة ككل وعلى صعيد واحد ضمن تسلسل متدرج من الأصوات مرورا بالصّرف والنّحو وصولا إلى الدّلالة.

---

(1) رمضان عبد التواب: المدخل إلى علم اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1997، ص 10.

(2) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999، ص 12.

دي سوسير رائد الدرس اللغوي الحديث: يعدّ دي سوسير مؤسس "علم اللغة الحديث" دون نزاع، وهو صاحب فكرة المنهج الوصفي، وقد ولد في سويسرا في 17 نوفمبر 1857م من أصل فرنسي، ودرس في جنيف بسويسرا، ثم انتقل إلى ليبزج بألمانيا ليبدأ دراسته الجامعية وهو في الثامنة عشرة، وتتلمذ على يد اللغوي الألماني المشهور G. curtius، وكان من زملائه حين ذاك قطبا حركة "النحويين الشبان": ليسكين Leskien وبروجمان Bruggmann، وفي سنة 1879م وحين كان في الثانية والعشرين ألف أول أعماله mémoire sur le systéme primitif des veyelles dans les langues indo-europeennes وقد لفت إليه هذا الكتاب أنظار الباحثين وأخذ يحتل منذ ذلك مركزا ملحوظا في الدرس اللغوي، ثم سافر إلى باريس حيث شارك في الجمعية اللغوية الفرنسية، وأخذ يحاضر عن النحو المقارن. وبعد سنة 1871م انتقل إلى جامعة جنيف حيث كان يقدم محاضرات في علم النحو المقارن أولا ثم في علم اللغة العام ثانيا، وكانت وفاته سنة 1913م[1].

كتابه محاضرات في اللسانيات العامة: لم يشتهر دي سوسير بما كتبه من بحوث مقارنة في الرسالتين عن أحرف العلة في اللغات الهندو أوروبية، وعن حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية، وإنما اشتهر بكتابه محاضرات في اللسانيات العامة، حيث قام إثنان من تلاميذه في جنيف بإعداد هذا الكتاب معتمدين في ذلك على أمليات سجلها زملاءهم، والتلميذان هما "بالي Bally، وسيشهي Sechehaye" وقد صدر عام 1916م بعد وفاة دي سوسير بثلاثة سنوات، وقد لقي هذا الكتاب الكثير من الاهتمام، وقد شهد انتشارا واسعا لأفكاره.

ويقع الكتاب في مقدمة وخمسة أجزاء أو ابواب، وهو في مأتين وسبعين صفحة، وفي المقدمة تناول دي سوسير قضايا عامة تتعلق بتاريخ اللسانيات ومادتها وعناصر اللغة ومبادئ علم الأصوات ومفهوم الفونيم. وفي الجزء الأول تناول طبيعة العلامة او الرمز اللغوي "Signe"، واللسانيات السكونية والتطورية. وفي الجزء الثاني يبحث في اللسانيات التزامنية أي الوصفية والقواعد وفروعها، ويخصص الجزء الثالث لدرس اللسانيات التاريخية والتغيرات الصوتية والتأثيل

(1) خليل أحمد عمايرة: في نحو اللغة وتراكيبها، ص 40.

étymologie. أما الجزء الرابع فيتناول فيه اللسانيات الجغرافية وتنوع اللغات وبواعث التوزع الجغرافي وانتشار الموجات اللغوية. ويضم الجزء الخامس والأخير مسائل في اللسانيات الاستعادية (التاريخية المتجهة إلى الاقدم) وقضايا اللغة الاكثر قدما، وشهادة اللغة على الأنثروبولوجيا وما قبل التاريخ[1].

مفهوم اللسانيات عند دي سوسير: قال دي سوسير في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة" ما نصه: "إن موضوع اللسانيات الوحيد والصحيح هو اللغة معتبرة في ذاتها ومن أجل ذاتها."[2]

إن اللغة التي تدرسها اللسانيات ليست الفرنسية أو الإنجليزية أو العربية، ليست لغة معينة من اللغات إنما هي اللغة التي تظهر وتتحقق في أشكال لغات كثيرة وكلمات متعددة وصور مختلفة من صور الكلام الإنساني. ومعنى قوله "في ذاتها" أي أنه يدرسها من حيث هي لغة، يدرسها كما هي، يدرسها كما تظهر، فليس للباحث فيها أن يغير من طبيعتها، كما أنه ليس للباحث في موضوع أي علم من العلوم ان يغير من طبيعتها. فليس له أن يقتصر في بحثه على جوانب من اللغة مستحسنا إياها وينحي جوانب أخرى استهجانا لها أو استخفافا بها أو لغرض في نفسه أو لأي سبب آخر من الأسباب.

أما معنى قوله "من أجل ذاتها" فمعناه أنه يدرسها بغرض الدراسة نفسها، يدرسها دراسة موضوعية تستهدف الكشف عن حقيقتها، فليس من موضوع دراسته أن يحقق أغراضا تربوية مثلا، أو أية أغراض عملية أخرى، إنه لا يدرسها هادفا إلى ترقيتها أو إلى تصحيح جوانب منها أو تعديل آخر، إن عمله قاصر على أن يصفها ويحللها بطريقة موضوعية[3].

ثنائية لسان –كلام Parole-Langue: فرق دي سوسير بين ثلاثة مصطلحات أساسية في الدرس اللساني هي:

– اللغة Language: وهي ظاهرة إنسانية لها أشكال كثيرة تنتج من الملكة اللغوية.

---

(1) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ، ص 18.

(2) F. De Saussure : cours de linguistique générales, 4me, édition, payot, paris, 1949, p 317.

(3) محمود السعران: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د ت، ص 49.

- اللسان Langue: وهو جزء معين متحقق من اللغة بمعناها الإنساني الواسع كاللسان الفرنسي أو العربي إلخ.
- الكلام Parole: وهو شيء فردي ينتمي إلى اللسان.

ثنائية الدال والمدلول Signifie-signifiant: ذهب دي سوسير إلى استعمال مصطلح "Signe" أي الرمز أو العلامة للدلالة على الكلمة لفظا ومعنى. والرمز اللغوي له وجهان لا ينفصل أحدهما عن الآخر. فالدال هو الصورة الصوتية والمدلول هو الصورة المفهومية التي تعبر عن التصور الذهني الذي يحيلنا إليه الدال، وتتم الدلالة Signification باقتران الصورتين الصوتية والذهنية وبحصولها يتم الفعل.

ثنائية التزامنية –والتعاقبية Diachronique-Synchronique: وهذه الثنائية تتعلق بالمناهج اللسانية، فدي سوسير يرى أن الظواهر اللسانية يمكن أن تدرس بالنظر إلى الزمان بإحدى طريقتين: الأولى هي الدراسة في زمن محدد، والثانية هي الدراسة التي تجري عبر مراحل زمنية متتالية.

ثنائية المحور الاستبدالي والمحور النظمي Syntagmatique-Paradigmatique: فرق دي سوسير بين المجموعات اللغوية المتوافرة في الذاكرة والتي تشكل محورا شاقوليا استبداليا، والمجموعات اللغوية الحاضرة في الجملة والتي تشكل محورا افقيا نظميا، ولكي يتم إدراك معنى ما يرد في الجملة من كلمات لا بد من النظر في المحورين معا[1].

وهناك ثنائيات أخرى استخلصها الدارسون مثل: التعارض بين الرمز اللغوي Signe والرمز العام Symbole، والتعارض بين المؤسسات الاجتماعية والسيمياء، والتعارض بين السيمياء واللغة، والتعارض بين الشكل والجوهر في وحدات اللغة.

(1) عبد الصبور شاهين: في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ت، ص 79.